عين في النهار

قصة بقلم يوسف شرورو

قلت بصوت باهت :

ـ اريد تذكرة ذهاب فقط .

ثم القيت ورقة نقود كبيرة ، ووقفت انتظر . مسح الرجل العجوز نظارته الطبية ، وبحلق في دون كلمة . ارسل اصبع يده اليمنى ليهرش جلدة رأسه . واخيرا نطق وعلامات استفهام متشابكة تتلون في وجهه :

ـ تذكرة ذهاب ! الى اين ؟ ما اسم المدينة او المكان ؟

ـ الى مكان تختاره انت . اريد ان انعتق من جديد ، لارى الحياة من جديد .

صمتت حركات الرجل العجوز . هدأت عيناه خلف نظارته الطبية . لم اعرف ما الذي كان يفكر به . ابتسم ، وفكر قليلا ، ثم مد اصابعه كلها ليتناول تذكرة صفراء صغيرة ، وقال بصمت تخللته نبرات ملونة :

ـ المكان اسمه « آرابش » . منذ اكثر من عام ، عم فيه هزال. ستقضي وقتا ممتعا هناك .

محطة القطار سوق دائمة الحركة . قصاصات ورق تتطاير في زوايا متفرقه . القطارات تقف صامتة مذهولة ، كحيتان بحرية خرجت من المحيطات الداكنة . وجه نحيل يرتدي حذاء يضحك بلمعان. طفل يضم وجه امه بخوف ، وفتاة سمراء تقف وحيدة ، افترست ساعات الانتظار عينيها المتعبتين . سفير يغني بصوت مخمور . شرطي يحاول ان يلجم صوته . صفارة ممطوطة تعلن عن تحرك قطار جديد . انسان قصير القامة ، يتبعه حمال يحمل حقيبة ثقيلة ، وانا احمل تذكرتي وهويتي ، وصورة وجهي ، وافكار كثيرة تدور في عقلي . قطاري يربض دون حركة ، كتب عليه باحرف كبيرة « آرابش » .

لم اسمع باسم هذا المكان من قبل : انا رأس يحمل شعرا كثيفا لا ارغب في حلاقته . ملامح وجهي غير متماسكة ، رخوة . فيها آثار ضعف شخصي . في الثامنة والعشرين . درست سنوات ستا في جامعة لها قبة ضخمة ، منحتني شهادة عليها طابع حكومي وتوقيع وزير . قامتي طويلة وغير رشيقة ، ففي الظهر انحناء بسيط . حين تخرجت عملت في صيدلية ادويه ، فانا صيدلي . ارتديت ثوبا ابيض. ووقفت الساعات الطويلة خلف حاجز خشبي . اقرأ الوصفات الطبية بكتاباتها السيئة المتعمدة ، وادلف كالاجير الى مؤخرة الصيدلية ، ثم اخرج بسرعة لاعطي الدواء . انا لم اخلق لمثل هذا العمل . بدأت افكر في الحل الحياتي لقضيتي الضبابية .

وانا في الجامعة آمنت بالثورة وبالسفاح العباسي والحجاج وجيفارا . دربت نفسي على المناقشة المنطقية الطويلة ، فانا صاحب قضية ، اريدها ان لا تموت . فالثورة حق وقوة ، والثوار يجب ان لا يموتوا . كنت ثائرا . ارخيت لحية سوداء لم اهذبها . قرأت عن حروب التحرير ، واعجبت بهو شي تونغ وهو شي منه ، وبفيلم « فيفا زاباتا » ، وكنت احمل على الاكتاف وقت المظاهرات .

اريد ان اضع حدا لايامي الحالية . أعيش مقيدا بخيوط صمغية الى مدينتي ، مدينة المقاهي والذباب . محارتي انغلقت علي لم ترد ان تدعني انفلت منها بخفة ، كقط هارب من مصيره ، ليصنع مصيرا آخر من تفكيره . وبدأت اعيش التعاسة ، فقد رأيت الحياة تتسامى في ، ثم تسقط حيث لا اجدها .

منذ ايام قال لي صديق بصوت ساخر :

ـ لماذا لا تذهب الى مكان بعيد بعيد حتى تشاهد الهدف ؟

وقال قاطع التذاكر وهو يأخذ تذكرتي عند الباب :

ـ مكانك هذا حل فيه الخراب منذ اكثر من عام .

وسرت قامة طويلة وغير رشيقة عبر رصيف القطار ، ابحث عن عربة خالية . العربات كلها خاوية الا من الصناديق الملأى بالاطعمة المحفوظة . سائق القطار الشاب يمد رأسه ليرى علامة البدء بالحركة. لا حقيبة تتأرجح من يدي . وبان القطار خمس فقط . قطاري حوت ولد قزما . سألت السائق بلهجة هادئة :

ـ كم ساعة ستأخذ الرحلة الى « آرابش » ؟

ـ ثلاث ساعات ونصف فقط .

دلفت الى اول عربة وجلست على مقعد وثير . رأيت وجهي في المرآة المقابلة ، ابتسمت لنفسي بسرور بالغ ، فقد انطلقت بلا قيود نحو الرحلة المجهولة . اخرجت لفافة تبغ وبدأت ادخن بنهم .

لا ادري من قال لي يوما :

ـ البقاء صعب ، واحيانا يكون الرحيل صعبا مثله .

ومنذ ذلك اليوم ، وافكار الرحيل تزخرف رفات قلبي ، وتورق الياسمين في عيني الشاحبتين . ان ارحل لهو افضل من البقاء هنا ، اثرثر حتى مطلع الفجر في مقهى زجاجي . فالامور الحياتية في مدينتي تبدو تافهة بعض الشيء . ينبغي ان افهم نفسي قبل كل شيء . اذكر مرة انني قرأت رواية روسية ، شدت حواسي كلها الى جملة بسيطة فيها . الجملة قالت لي : « ذلك الذي يسير لا بد بالغ آخر الطريق . » وبحثت عن طريقي طيلة الشهور والايام والساعات المضنية . ونبتت الطحالب فوق الجبين ، وجفت مياه العيون ، وتوالد العذاب الشوكي ، وسحقت كورقة جفت الحياة فيها وتساقطت كالموت. كنت أحس بأن التهمة تقع علي بمفردي . تهمة البعد عن العمل الحقيقي ، من اجل خلق النفس في الداخل . العالم ما زال مستمرا في حركته ، رغم الاكاذيب والصور البراقة والجثث المبعثرة فوق رمال الصحراء المحرقة . الناس تدور في الشوارع كالضفادع ، وتضحك وهي تأكل وتضاجع كل ليلة . من قال ان العالم ستحل فيه اللعنة عندما يموت انسان ؟ لن تتوقف دواليب السيارات والباصات حين يهاجمني كساح موقت ، فاقعد في سريري حزينا ، يخرج مني النباح والعويل .

انا احاول دوما ان التقط الاشياء واحتفظ بها ، وعندما افلتها او تنفلت مني ، لا تسقط في هوة ، بل تبقى هناك تعيش في .

مرة قالت لي وهي تبكي بلا صوت :

ـ لن تموت ايامنا ما دام يشع منها بريق .

كنت اسميها بفرحي الكبير . كانت في الثانية والعشرين يوم تزوجت . عاشت معي أربع سنوات طوال ، وكان مساء يوم الجمعة عندما سرت على أطراف أصابعي وأنا أخترق أسرة المرضى المكدسة في القاعة الكبيرة ، لاصل الى سريرها . لم تبتسم لي كعادتها . كانت تبكي كسماء المدن الكئيبة . جلست بجانبها منكمشا على نفسي وقلت بلهجة مرحة :

ـ ماذا قال الطبيب ؟ متى ستخرجين من هنا ؟

أجابت والدموع تنهمر كحنفية ماء :

ـ يجب أن تساعدني ، فأنا لا أريد أن أراك مرة ثانية . يكفي اننا عشنا معا كالمتزوجين لمدة طويلة . أنت لن تتزوجني . أنا أريد بيتا وزوجا وأولادا . عشت سعيدة معك . كنت صغيرة عندما عرفتك. تكلمنا كثيرا عن الفراق ، يجب أن نكون أقوياء ونقرر القرار النهائي. ساعدني أرجوك ، كن بجانبي ، أعني ساعدني على التخلص من قيودك. كن بجانبي كصديق فقط . أرجوك يا حبيبي أن لا تأتي لزيارتي غدا . اذهب من حياتي ولو لفترة . سآتي يوما لاجمع حاجياتي الموجودة عندك . أنت ما زلت حياتي ، ولكنك لن تصنع مستقبلي . لا تقل وداعا ، بل الى اللقاء كصديقين ، ستكون الصديق الوحيد .

وخرجت دون أن التفت . كانت الشوارع هادئة ، والبرد يلسع الوجوه ، ورأسي يتقلص حتى يلامس ياقة المعطف ، وهي فوق سريرها تبكي حبا وهبها ولدين ، ثم قتلهما . انها تحلم بزوج وبيت وأولاد ، دون حب ، فيكفي انها أحبت وما زالت . أما أنا فلن أدري ما الذي سأفعله . فقد جف اخضرار الايام السابقة ، وخمدت الحركة في البيت ، حيث كانت هي ، لا غيرها ، فرحه الكبير .

منذ يومين فقط ، وقفت سيارة صفراء فارهة بجانبي ، وأطل منها وجه أعرفه جيدا . كان وجهها ، وبجانبها الزوج الشاب . قالت والدموع تغسل حوافي عينيها :

ـ كيف أنت يا حبيبي ؟ كيف حياتك ؟

قلت بصوت أعدم فرحه :

ـ كوني سعيدة ، فأيام السعادة قصيرة جدا .

وانطلقت السيارة مسرعة كطائرة صغيرة ، وخلفتني وحيدا في شارع تساقطت أوراق أشجاره . الكل يصنع حياته . أنا لم أصنع حياتي بعد . التهمة تقع علي وحدي . انفلتت كل الاشياء مني ، ولم يبق منها الا أنا ، وأخاف أحيانا أن تنفلت هذه الانا مني.

قال لي صاحب المقهى :

ـ لماذا لا تعمل مع الاخرين هناك ؟

قلت وأنا أبعد عيني عن وجهه :

ـ وأين يعمل الاخرون ؟ ولحساب من يعملون ؟

ـ يعملون هناك فوق الارض ، ومن أجل الفداء فقط .

وألقيت ضحكة سمجة لها رائحة . أتبعتها بتدخين لفافة تبغ ثقيلة ، ثم قلت لصاحب المقهى :

ـ الفداء يعني التضحية بكل شيء ، كل شيء دون استثناء ، وأنا لا أملك شيئا لاضحي به ، حتى نفسي .

عاد صاحب المقهى يقرأ جريدته اليومية بصوت مرتفع :

ـ « الحياة هي أثمن ما يملك الانسان ، وهي لا تعطى له كي يعيشها سوى مرة واحدة . وينبغي له أن يعيشها بحيث لا يشعر بالاسف المعذب على السنوات التي ضاعت دون هدف . فاذا ما عاشها بصدق يستطيع أن يهمس لنفسه وهو يموت : ـ ان حياتي كلها قد وهبت لاشرف قضية في منطقتنا ، وهي الفداء » .

توقف صاحب المقهى عن النظر الى جريدته لحظات ، ثم قال وهو ينظر الي :

ـ هل سمعت هذا الكلام ؟ قاله انسان يعمل في الجبال هناك . صفوف الفداء لن تقبل امثالك من الشباب . انتم لعنة ثرثارة فقط .

نظرت الى ساعتي . نصف ساعة وأصل الى « آرابش » لارى كيف يعم الهزال بالامكنة . الهزال الفكري حل في منذ اكثر من عام . لماذا أتساءل دوما ، دون البدء بالعمل ؟ الدودة المقيتة تأكل من قلبي ، وتحوله الى ثقوب من عجين . كيف ذهب الشباب دون سؤال ؟ ولكن من قال انهم لم يحددوا الهدف ؟ لم لا يولد الانسان بهدف جاهز ؟ الاهداف يصنعها قدرنا . هذا صحيح ، ولكن من قال هذا ؟ ربما أنا قلتها في لحظة كآبة عقلية .

طرق باب عربة القطار . قال رجل بعينين خامدتين :

ـ قهوة أو شاي يا سيدي ؟

ودون أن أفكر قلت :

ـ قهوة سادة من فضلك .

أغلق الباب بأدب ، وبقيت أنتظر عودته . كم تمنيت لو اشتريت جريدة أو اصطحبت كتابا ، فالرحلات بغيضة ان كنت وحيدا، والاشجار لا تنمو بمفردها ، والناس لا يعيشون دون أصدقاء وعائلات وابتسامات .

وقف القطار . أخرجت رأسي عبر النافذة الزجاجية العريضة . قرأت اللوحة الكبيرة « أرابش » ، هذا هو المكان . فركت يدي ، وسرت لاضع قدمي فوق ارض المحطة . المحطة خالية لا وجه فيها . نظيفة جمعت أقذارها . الاسهم تشير الى باب الخروج . نزلت درجات عدة ، ثم صعدت سبع درجات ، واستقبلت بعيني النهمتين شارع المدينة العريض . ساعة الميدان العتيقة تشير الى الثالثة والربع . النهار ما زال صبيا لم يهاجمه الشيب . سأختار غرفة في طرف المدينة ، لاراقب الناس والمحلات ، وأراقب نمو نفسي من الداخل . النقود كثيرة في جيبي الخلفي . أخذت راتبي الشهري بالامس . لا أملك عائلة لاصرف عليها . مسؤولياتي المالية محدودة . سأشتري بعض الملابس من هذه المدينة . أريدها أن تعيش في قبل أن تنفلت مني ، كما انفلتت كل الاشياء في السابق . لن يشعر أصدقاء المقهى بغيابي ، فحياتهم غيبوبة ثرثارة معادة . صاحب الشقة التي أعيش فيها سيحس بغيابي ، فلم أدفع له أجرة الشهر الماضي . صاحب الصيدلية سيرسل سائقه للسؤال ، ستصيبه الدهشة حين يعلم بسفري . المدينة هذه تبدو ميتة . الموت ما زال حيا فيها ، فمنازلها نظيفة من الخارج ، ومتاجرها تعرض البضائع المختلفة المستوردة . وقفت أمام متجر لانتقي ربطة عنق مزركشة . طالعت وجهي في واجهة المتجر . كنت غريبا عن نفسي ، كأن الوجوه تتغير بتغير المكان . أسعار المتاجر غالية جدا . لم أر وجها بعد . أين وجوه هذه المدينة ؟ سخر مني الرجل العجوز وهو يهرش جلدة رأسه ، فالمكان لم يعم فيه الهزال . الشوارع نظيفة ، والمتاجر عامرة ، وأشجار البيوت تغني بصفاء ، والساعة العتيقة تعمل بدقة وانتظام .

دراسات أدبية

من منشورات دار الآداب

- من أدبنا المعاصر
  للدكتور طه حسين
- قضايا جديدة في أدبنا الحديث
  للدكتور محمد مندور
- مشكلة الحب
  للدكتور زكريا ابراهيم
- تجديد رسالة الغفران
  لخليل هنداوي
- دراسات في الادب الجزائري
  لابو القاسم سعد الله
- بابا همنغواي
  لهوتشنر
- الادب المسؤول
  رئيف خوري

فجأة شعرت بالوحدة ، فهذا الشارع الطويل ببيوته ومتاجره ومطاعمه لا يضم وجها غيري . بدأت أستمع الى وقع خطواتي فوق الرصيف المهجور . أظن ان أهل هذه المدينة ينامون بعد وجبة الغداء . ستدب الحركة في الشارع وفوق الارصفة بعد قليل . سابتسم لكل وجه . قد أجد وجها يحبني لكي أحبه ، فالحب أرض خصبة تزهر ورقا وزهرا وثمرا ناضجا . قد أفتح صيدلية صغيرة في منعطف هذا الشارع . أنا غير واثق ان كنت قد أعجبت باسم هذا المكان . « آرابش » ، أحرف الكلمة لا رنة موسيقية فيها ، ما زلت أتفلسف كعادتي . غريب ، أشعر ان هواء هذه المدينة ثقيل على رئتي . أحس بالجوع ينخر في معدتي كالمنشار . سأبحث عن مطعم ، سافرش طاولتي بعدة صحون ، سأطلب نبيذا أحمر ، وعندما أنتهي سأطلب برانـدي وقهوة سادة . قهوة القطار كانت رديئة لا طعم فيها . سوف أسأل صاحب المطعم عن غرفة للايجار تقع في طرف المدينة . لن أثرثر طويلا مع الناس هنا ، فأنا الزائر الوحيد لشوارعهم . القطار لم يحمل أحدا غيري . سابدأ بالبحث عن مطعم ، سادخل أول مطعم يقابلني . يجب أن أدخن ، فالتدخين يساعدني على التفكير . كم تمنيت لـو ان مدينتي تتسم بالهدوء مثل « آرابش » . بحثت عن لفافة تبـغ ، لعنة عليك أيها الحمار ، لقد التهمت كل اللفافات . سأشتري علبة تبغ كبيرة فاخرة . آ ، هذا محل لبيع التبغ . دفعت الباب الزجاجي المتحرك ، ودلفت الى المكان . آه ، ما هذا ؟ قذفت بجسدي الـى الشارع من جديد . هل أنا أحلم ؟ فركت عيني بأصابعي كلهـا . لا ، هذا غير صحيح . الموت ما زال حيا حتى في المحلات الصغيرة . أنا متأكد انني مصاب بالحمى سأجرب محلا آخر ، ، هذا محـل جديد . دفعت الباب واندفعت الى الداخل ، وكقذيفة خرجت مـن جديد الى الشارع المهجور . هل أستطيع أن أرى حلمين مرتيـن متتاليتين ؟ وأصابني الجنون ، فبدأت أضرب أبواب المحلات بقدمي ، وأطل داخلها ثم أخرج لاهثا يتصبب العرق من جبيني . المكان يعمـه الهزال . كيف تتحول مدينة كاملة الى هذه الاعجوبة المضحكـة ؟.. سأقتل الرجل العجوز وأسحق نظارته الطبية بقدمي . من طلب منـه أن يختار لي هذا المكان ؟ بدأت أتنفس بصعوبة ، لا مطاعم في هذه المدينة ، وكيف يأكلون ؟

قال سائق القطار الشاب قبل أن أغادره :

ـ هناك قطار يأتي الى « آرابش » كل يوم .

علي ان ابقى هذه الليلة هنا . ولكن اين ؟ وكيف . قد تلتهمني وجوه سكانها . سأهرب ، سأختفي في كهف او فوق شجرة اغصانها مظلمة . انا لم اصب بالجنون بعد . وبدأت اركض كحصان سباق ، وبدأت الوجوه الحيوانية الغريبة تطل من خلف زجاج المحلات.وفجأة، وانا اخترق الشوارع ، بدأت ابواب المحلات تفتح وتخرج القامـات الانسانية بوجوهها الحيوانية المختلفة وتركض خلفي . لن ادعهـم يقبضون علي . كيف حل الخراب بهذه المدينة؟ انفاسي تخرج بصعوبة. انا الهث كانني اموت . قامات سكانها مثل قامتي ، واطرافهم مثـل اطرافي ، ولكن وجوههم ، وجوه حيوانات مختلفة . انا متأكد انـنـي قرأت اسم المكان قبل ان انزل درجات القطار . رأيت من قبل وجوهـا مقنعة باقنعة حيوانات ، ولكن وجوههم غير مقنعة ، بل هي حقيقية . اسمع وقع اقدامهم خلفي ، كثيرة ومتعددة ، وانفاسهم تلفح رقبتـي من الخلف . شعري تتطاير خصله الطويلة في الهواء . الخوف يهرش امعائي . وصلت ميدان المدينة الواسع . كانت قاماتهم ، بوجوههـم الحيوانية تسد منافذ الشوارع المحيطة . وفجـأة اصابني الشلـل فتوقفت في مكاني انظر اليهم عن قرب ، بعينين مشدوهتين . هـذه القامة تحمل وجه ثعلب يجري مخاطه من فمه . تلك القامة القصيرة هناك تحمل وجه دجاجة سمينة ، واخرى بوجه كلب شاحب ، ورابعة بوجه عصفور يزقزق بنشاز . ولكن معظم الوجوه تحمل وجوه خراف بيضاء .

فجأة ساد الصمت الميدان والشوارع ، وانطلقت العيون الحيوانية تقذف نظراتها الى قامتي ووجهي الانساني بملامحه الرخوة . قامة تحمل وجه قطة سوداء بدأت تشمشم الارض حولي ، تبعها وجه كلب بوليسي ضخم ، نبح الكلب البوليسي ، فتقدمت الوجوه الحيوانية ثـلاث خطوات . شعرت بانني مطوق . يجب ان استسلم ، فلا مناص مـن المقاومة . برز وجه يحمل وجه اسد كهل علاه الشيب . عيناه قويتان ترسلان نارا لاهبة . تفحصني بامعان ودار حولي دورتين ، ورفـع اصبعه ، واعطى اشارة ، فتقدمت ثلاثة وجوه لكلاب بوليسية،واقتادتني الى بناية البلدية ، وهناك وقفت أنتظر سماع لغتهم .

قالت دجاجة بلغة مثل لغتي :

ـ احرقوه حيا وقدموه طعاما لذئاب المدينة .

واطلت وجوه ذئاب اربعة ، واخرجت السنتها الحمراء وبدأت تلعق بشهية .

وجاء صوت خروف ابيض يتكلم بلغة مثل لغتي :

ـ ليذهب الى السهول ، ويجمع لنا العشب الاخضر ، ليعمـل كأجير .

وتقدمت وجوه الخراف العديدة ،لم تكن وديعة ، كانت شريرة عيونها تقدح شررا ولؤما .

نبح كلب بوليسي بلغة مثل لغتي :

ـ سنرسله للتجسس على البيوت ، فالبعض ما زال لا يؤمـن بطريقة حياتنا الجديدة ، ويفكر باشعال ثورة على الحكم في مدينتنا .

اطل وجه الاسد الكهل بشيبه وعينيه القويتين ، وطلب مـن الجميع ان يصمتوا . ايقنت بأن هذا الوجه ، هو قائد هذه المدينة . كانوا يتحدثون جميعا بلغة مثل لغتي ، ولغة الناس فـي مدينتـي الثرثارة . وقفت العيون جاحظة تنتظر حديث القائد الذي كان اسدا ، اقعدته الكهولة .

قال موجها حديثه الي :

ـ اسمع يا صديقي ، منذ اكثر من عام حلت بنا هزيمة ، كنـا نشعر بانها ستكون انتصارا ، ومنذ اكثر من عام نسفت منازل هـذه المدينة ، وتبعثرت جثث الشباب فوق الارصفة ، واحترقت مئـات الدواليب والعربات ، ونتف الريش من اجساد طيورنا المحاربة.كانت السماء بلا مظلات ، وهطلت حجارة ثقيلة ، وماتت طيورنا في اوكارها. اؤكد لك باننا كنا دولة قوية بجيش عظيم . ولكن منذ اكثر من عـام حل فينا الخراب ، وعمت ديارنا الهزيمة ، وحط الهزال في عيوننا ، فعلى بعد خطوات منا ، قامت مدينة بالقوة وهاجمتنا ، وسحقـت تاريخنا وبصقت عليه ، وكتبت التاريخ كما ترغب ، فهي المنتصـرة . الحرب يا صديقي لم تستمر طويلا ، كانت كومضة الشرارة . انتهـت قبل ان نشعر ببدايتها ، واصابنا دوار ولم نعرف الحل ، وتخبطنا في دوامة ، وقامت فئة من الشباب تعمل للغداء ، وقامت فئات اخـرى تطلب العيش بأمان ، و ...

قطعت حديثه لاسال بلهفة :

ـ هل تعرفون معنى الغداء هنا ؟

فاجابني وجه نمر شاب انحسر شعره عن مقدمة وجه . افسحت الوجوه طريقا له عندما تقدم نحوي :

ـ نعم نعرفه ولكننا لا نزاوله لايماننا بعدم جدواه .

عاود وجه الاسد القائد ، كلماته الي :

ـ وزارنا خبير عدة مرات ، وقدم لنا آلة ستراها عما قـريب ، واقترح ان نجلس خلفها لساعات فقط ، وبعدها نتحول الى حيوانات، اعني وجوهنا تتبدل الى وجوه حيوانات . كل حسب نفسيته واخلاقه. واعجبنا بالفكرة ، وكنت اول من جلس خلفها ، وبعد ساعات لبسـت هذا الوجه ، فشعرت بالسلام يعم رأسي ويخمد حركة تفكيري ، وبدأ الناس يتحولون ، وكما ترى فهنا الخراف والدجاج والثعالب والكلاب والقطط والثعابين السامة وغيرها ، كما كنا سابقا قبل ان نتحول ، فمثلا نحن لا نخاف من القامة التي تحمل وجه خروف ، فالنفسيـة التي يحملها نفسية منقادة ، تسير خلفنا بسهولة ، اما الثعابين فنحن

لا نستمع الى كلماتها فهي سامة تريد سريان السم فينا فقط ، و ..

فجأة اقتحم وجه النمر الشاب ، الوجوه الحيوانية المحيطة بي، وقال :

ـ انا احمل وجه نمر ، فانا شجاع ، ولكنني آمنت ان الشجاعة يجب ان تكون لخدمة مدينتنا ، فطلبت السلام . المدينة المعتدية لا تهاجمنا الان ، ونحن لا نقدر على نطح حدودها بقروننا . لا نريدك ان تبقى محتفظا بوجهك الانساني هذا ، فستكون كاللعنة على سلامنا ، كالشباب الذين يعملون من اجل الفداء ، والذين يعيشون فوق الجبال والروابي المحيطة بحدودنا . لا نريدك كالطاعون الذي يزرع الموت في شوارعنا . ستجلس خلف الآلة ، حتى تلبس وجها حيوانيا . سنرى نفسيتك التي تحملها داخلك . لن تستطيع خداعنا طويلا .

وتوقف عن الحديث ، واشار بيده اليمنى ، فتقدمت كلاب بوليسية اربعة ، واقتادتني بقسوة الى قاعة البلدية، بين غناء الدجاج والقطط والعصافير والخراف . وضربني خروف ، فحاولت ان احتج، فهمس كلب بوليسي :

ـ حاول أن لا تستعمل عينيك جيدا . كن مثلنا ، نحن لنا عين واحدة في النهار فقط . عيوننا تنام في الليل . عندما كنا رجالا ، كنا نستعمل عيوننا كلها ، اما الآن ، فنحن لا نستعمل عينين كالاخرين. يكفي عين واحدة في النهار .

كانت الآلة الضخمة تقف شامخة في قاعة البلدية . ارجلها وسواعدها متشعبة عديدة ، في اعلاها تنتصب اربع عيون كهربائية ، تخطف البصر ، وفي الخلف مجموعة من المقاعد المخملية الزرقاء المريحة . اختاروا لي مقعدا ، واجلسوني بالقوة ، وتراجعت وجوه الحيوانات ، وجاء وجه ثعلب عجوز فاحت رائحته القذرة . ضغط على زر كهربائي ، وبدأت العيون الكهربائية بالحركة. شعرت بالحمى. بدأت حواسي تنعطل تدريجيا . سأظهر على حقيقتي . سينبت الوجه الحيواني مكان وجهي . عشت الحياة جبانا أتفلسف واثرثر واعجب بالاشياء فقط . لم استطع الاحتفاظ ببريق حياتي ، تفلسفت بفكرة التقاط الاشياء حين تنفلت مني . لم ادافع بشدة عن شيء . لم اعرف المسؤولية ، حياتي كانت بحيرة كلمات .

نبتت شوارب عديدة ، رفيعة وطويلة فوق شفتي العليا ، اصبح وجهي نحيفا جدا ، صرخت :

ـ ايها الحيوان القابع في داخلي لا تكشف عن وجهك ، انا احمل وجه فأر جبان ، انا لعنة ثرثارة .

يجب ان اهزم سلام هذه المدينة ، وجه الفأر لم يبدأ بالتكوين بعد ، وجدت الهدف ، سأهرب من مدينة الهزال والخراب والامان ، ودبت في قوة اندلسية . الفداء هو التضحية بكل شيء ، كل شيء دون استثناء ، انا املك نفسي الآن . لا اريد ان تكون لي عيون في النهار ، اريد أن تنبعث مئات العيون مني . الشباب يعيشون فوق الجبال والروابي ، سأركض حتى ارتمي بينهم ، لا اريد ان ابقى في « آرابش » ، مدينة الامان ولعنات التاريخ على تاريخي ، سأقتل الرجل العجوز واسحق نظارته الطبية فهو جاسوس متعاون .

وقفت باعجوبة ، وانطلقت اعدو في الشوارع ، والكلاب البوليسية تلاحقني ، اسمع نباحها يخترق طبلة اذني ، واصوات الخراف تصاحب عملية الركض ، متشابكة كأننا في مظاهرة :

ـ دعوه يجمع لنا العشب الاخضر ، دعوه يعمل كأجير .

الكلاب البوليسية تنطلق خلفي كأسهم نيرانية ، وانفاسها تحرق جلدة رقبتي ، والسهول المحيطة بالمدينة تنبت الخضار والاشجار والزيتون. سأقول للشباب هناك، ان لم تقبض علي الكلاب البوليسية:

ـ لن تموت الايام ما دام فيها بريق ، والفداء هو البريق الوحيد في ايام الهزيمة اللعينة .

لندن

يوسف شرورو

الوحدة العربية آتية !

للمؤرخ البريطاني الشهير
ارنولد توينبي

عرف المؤرخ البريطاني الشهير ارنولد توينبي بتعاطفه مع العرب وتأييده لقضاياهم . وان مواقفه من اسرائيل وعدوانيتها وعنصريتها لا تزال في الاذهان .

وفي هذا الكتاب يتنبأ توينبي بان الوحدة العربية لن تستغرق من الزمن حتى تتحقق ما استغرقته الوحدة الالمانية والوحدة الايطالية ، ولن تنحرف مثلهما ، بل ان سنة ١٩٧٤ هي الحد الاقصى (كما يقول توينبي) لاشراق نور هذه الوحدة العربية .

ويتحدث المؤرخ البريطاني عن العقبات التي تعترض الوحدة العربية والوحدة الافريقية ، ولكنه يؤكد ان هذه العقبات ، ومنها مصالح بعض الافراد والاسر المستفيدة من التجزئة ، ستزول تدريجيا ، وان الوحدة العربية قادمة قريبا ، وويل لمن تعميه مصلحته الموقتة من ابنائها عن الحق ، وويل اكثر لمن يقف في طريقها ، معاداة للخير ، من غير أبنائها . . .

وفي هذا الكتاب الممتع تأملات تاريخية طافت بذهن توينبي اثناء رحلاته الثلاث الى بلدان افريقية ، شمالي وجنوبي الصحراء الكبرى ، وعرض دقيق لمشكلة السودان ونيجيريا ، وائتلاف الاسلام والمسيحية في الحبشة وتاريخ نهر النيل ، ووصف شيق لمنطقة « سد الجبل » في اعالي النيل وورشة « اسوان » و « الجزيرة » في السودان ، مع زيارة الى غزة ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين واشادة بالخدمات التي قدمتها مصر لتلك المنطقة . كل ذلك في اسلوب شيق ونفس انساني رفيع وروح دعم وتأييد للنضال العربي